

## إغتيال خاشقجي: إدارة الأزمة التركية وأسباب الرد الغربي المفاجئ



البشير محمد لحسن

كانت العلاقات بين تركيا وال السعودية متواترةً أصلًاً حتى قبل أزمة خاشقجي. يكفي أن نُلقي نظرةً سريعةً على الصحافة السعودية أياماً قبل اختفاء خاشقجي لنكتشف مدى انتشار السعودية بأزمة الليرة التركية في صراعها مع واشنطن. ويعود ذلك الجفاء إلى عدةٍ أسباب من بينها: عداء السعودية لتنظيم الإخوان المسلمين الذي ينتمي إليه الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، وتأييد الرياض الضمني للانقلاب العسكري في تركيا قبل سنتين ثم الموقف التركي الداعم لقطر بعد فرض الحصار الرباعي عليها.

جاء اندلاع أزمة خاشقجي بمثابة السيمفونية التي كانت أنقرة تمنى الرقص عليها، لذلك عمدت إلى تدويل الأزمة منذ اللحظات الأولى وسعت إلى تقسيط وصول معلومات التحقيق إلى وسائل الإعلام، بل أكاد أجزم أن تسريب التفاصيل الدقيقة من قبيله؛ تقطيع أصابع الصحفي، جمال خاشقجي، واستعمال منشار كهربائي لتقطيع جسده واستماع فريق التقطيع للموسيقى أثناء عملية التخلص من الجثة وغيرها، كل ذلك كان مقصوداً ومدروساً من أجل تأليب الرأي العام ضد السعودية وإعطاء مادة دسمة للصحافة المتأهبة أصلًاً. وتسعى تركيا لإطالة الأزمة قدر المستطاع وتضييق الخناق على الرياض مع تكشّف معلومات جديدة حول عملية الاغتيال والجهة العليا التي أمرت بتنفيذها.

كل ذلك لا يعني أن الأتراك سيفون أو أنهم يقومون بذلك نكاية في السعودية، بل على العكس، فلو كانت السعودية مكانهم لقادت بذات الشيء أو أكثر.

هناك ثلاثة عوامل رئيسية ساهمت بشكلٍ مباشر في سرعة انقلاب المواقف الدولية ضد السعودية وحشرها في

زاوية ضيقة حتى من قبل أقرب حلفائها.

ويرجع السبب الأول إلى مكانة الضحية؛ فهو صحفي سعودي مرموق وكاتب عمود في إحدى كبريات الصحف الأمريكية، الواشنطن بوست، وإنماً إلى ذلك، فهو يمتلك شبكة علاقاتٍ واسعة جداً ومتشعبه ليس فقط على المستوى الخارجي، كعلاقته الشخصية بالرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، وغيره من زعماء العالم والشخصيات المتنفذة، بل أيضاً داخل السعودية والأسرة المالكة نفسها. كل ذلك يجعل عملية التخلص من شخصية بذات الوزن مُكلفةً وعلى جميع الأصعدة السياسية، الإعلامية والإقتصادية وليس بالأمر الهين الذي تصورته القيادة السعودية.

ويتعلق العامل الثاني بتنفيذ عملية التصفية بحد ذاتها. فإذا كان جمال خاشقجي صحفي معروف على الصعيد الدولي، فإن استدراجه للقنصلية السعودية في إسطنبول لاغتياله من طرف فريق جاءه خصيصاً من الرياض لتنفيذ العملية بالطريقة البدائية التي كشفت عنها التحقيقات الجنائية إلى حد الساعة، يطرحنا أمام احتمالان لا ثالث لهما. إما أن جهاز المخابرات السعودي يفتقر للخبرة والتخطيط وهو ليس مؤهل لتنفيذ عملية بذات الحجم على أراضي دولة أجنبية وما يتطلب ذلك من تخطيط وتنسيق مسبق وغيره (مع تنديدنا الشديد بمثل تلك الجرائم)، وإما أن الأمر قد صدر من جهات عليا بالتخلص من خاشقجي بأسرع وقت وقد جاءت الأوامر لتنفيذ وليس للنقاش والمراجعة وهو ما جعل رجال الجهاز يتصرفون بما سمح به الوقت الضيق والظروف المحيطة بالعملية وعدم التحضير والترتيب لاقتراف جريمة مماثلة. وقد ظهر الارتباك والربضة مباشرة مع القنصل السعودي، محمد العتيبي، في جولته بالمقر مع صحفي روينر، فطريقة حديثه المتلعثمة ونظراته التائهة يميناً وشمالاً وحتى فتحه العداد الكهربائي توحّي بأن الرجل يخفي أمراً أو أنه لم يتعاف بعد من آثار الصدمة وهو مارأته عيناه. كما شمل التخطيط أيضاً الرواية الرسمية السعودية التي ظهرت غير متماسكة بين تأكيدولي العهد، محمد بن سلمان، أن جمال قد خرج من القنصلية ثم نفي تلك المعلومات لاحقاً.

العامل الثالث الذي ساهم في انقلاب الرأي العام الغربي وال رسمي خاصةً ضد الرياض بهذه السرعة، يمكن تفسيره بأن الغرب قد صاق درعاً من تصرفات القيادة السعودية الجديدة غير الموزونة. وبعد إعلان الرياض حرباً عبئية ضد اليمن سنة 2015 دون تحقيق أي هدف مع دخول الحرب عامها الثالث وما نتج عن ذلك من سقوط آلاف الضحايا الأبرياء، وهو ما دفع بعض الدول الغربية لاتخاذ قرارات بعدم بيع السلاح للسعودية. التهور السعودي الآخر تمثل في احتجاز رئيس الوزراء اللبناني، سعد الحريري، مطلع نوفمبر الماضي وهو الأمر الذي زاد من تدهور سمعة العهد السعودي الجديد، فلولا التدخل الفرنسي الحاسم لإطلاق سراحه لظل رئيس وزراء لبنان محتجزاً إلى اليوم كما هو شأن عشرات المغدرین والداعنة والنشطاء.

وبعد ردة الفعل الفاترة على كل تلك التحاورات تَمَّوَّر صانع القرار في السعودية أنه بالإمكان فعل اقتراف أي جريمة والاكتفاء بالتهديد بسلاح النفط والاستلال بعرش الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، عن طريق صفقات خيالية. ويبدو أن سفينته الأحداث قد جرت بما لا يشتهيهولي العهد السعودي المتحكم في كل

دوالibb الحکم فی بلاده، فقد بدأ حملات المقاطعة الإقتصادية للرياض، وهي الأكثر إيلاماً، تنسع لتشمل العلاقات السياسية أيضاً بإعلان كل من فرنسا، بريطانيا، ألمانيا وهولندا عن إلغاء كل الزيارات الرسمية للسعودية إلى غاية كشف حقيقة مقتل خاشقجي، وقد تتخذ بقية الدول الأوروبية موقف مشابه بل وعقوباتٍ من جانب الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. لكن الشيء الوحيد المؤكد هنا هو أن جريمة اغتيال الكاتب والمصافي جمال خاشقجي لن تمر ببرداً وسلاماً، بل أجزم أن للعملية ما قبلها وما بعدها والأيام بيننا.

كاتب من الصحراء الغربية